

مغامرة زهرة مع الشجرة

تأليف
يعقوب الشاروني



رسم

عبد الرحمن نور الدين



دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

٤٧

مغامرة زهرة مع السحرة

تأليف
يعقوب الشاروني



الطبعة الرابعة



رسم: عبدالرحمن نور الدين

اعتادت شجرة الظل الشابة ، أن
تأمل ذلك الجرح المتسع ، الذي يشق
جانبا عميقا من جذع جارتها ، شجرة
الكافور العجوز ، التي تقف أمام باب
« مدرسة الاجتهاد » .

وتملكها حب الاستطلاع ، فلم
تستطع منع نفسها ذات صباح ، من أن
تميل بأحد أغصانها لتحسس ذلك
الجرح ، وهي تسأل جارتها في اهتمام :
« كيف أصابك هذا الجرح العميق ،
الذي يشوه قامتك العالية ؟ » .

وتنهدت الشجرة العجوز مع الريح ،
وهي تجيب في لهجة يخالطها كثير
من الألم :

« لولا هذا الجرح ، لما زرعوك ، ولما
اهتم أحد بميلادك أو حياتك ! » .

وفوجئت الشجرة الشابة بتلك
الإجابة التي لم تكن تتوقعها ،
فصاحت : « هذه أول مرة أسمع
فيها أن ولادة شجرة شابة مثلى ،



جاءت نتيجة إصابة شجرة عجوزٍ مثلكِ ، بهذا الجرح الذى كان يُمكنُ أن يكونَ قاتلاً ! » .

قالتِ الشجرةُ العجوزُ لجارتها الشابة : « ضعى نفسك فى مكانى .. أقضى من عمرى ثلاثين عاماً ، أقدمُ الظلَّ للأطفالِ والحيواناتِ ، وتحافظُ جذورى على شاطئِ التربةِ متماسكاً قوياً ، وأعملُ على تنقيةِ الهواءِ ، ثم أفاجأ ذاتَ صباحٍ ، وعلى غيرِ انتظارٍ ، باثنتينِ ، رجلٌ وصبيٌّ ، يتعاونانِ على قتلى . فوجئتُ بهما يتوقفانِ بجوارى ، ثم تناول كلُّ واحدٍ منهما طرفاً من طرفى منشارٍ رهيبٍ ، وسددا أسنانهُ المفترسةَ نحو جذعى .. ثم بدأتِ المذبحة !! » .

صاحتُ شجرةُ الظلِّ الصبيةُ فى فرعٍ : « مذبحةٌ ؟! هل يذبحُ الإنسانُ الأشجارَ أيضاً ؟! » .

وفى صوتٍ يُخالطُهُ الألمُ ، أكملتُ شجرةُ الكافورِ حكايتها .. قالتُ :

« جعلنى الفرعُ أتوقفُ عن امتصاصِ عصارتى ، وسرى الألمُ حتى وصلَ إلى أطرافِ أغصانى ، وبدأتُ أوراقى ترتعشُ ، فقد كانتُ أسنانُ المنشارِ حادةً رهيبَةً ، تغوصُ بغيرِ شفقةٍ فى لحمى ، والمنشارُ يذهبُ ويجىءُ بقسوةٍ ، فيزدادُ الجرحُ عمقاً فى جذعى » .

« أرادوا قتلى كما كانوا يقتلونَ المحكومَ عليهم بالإعدامِ منذُ بضعِ مئاتٍ من السنينِ ، مُستخدمينَ طريقةَ بشعةٍ ، عندما كانوا يقسمونهم من وسطهم بالمنشارِ ، وهو ما سمعتهُ يوماً من رجلينِ جلسا تحتى ، يستمتعانِ بظلى » .

« وبعد دقائقٍ حافلةٍ بالألمِ والرُعبِ ، توقَّفَ الصبيُّ ، وتركَ ذراعَ المنشارِ ، ونظرَ فى كَفِّهِ ، ثم قالَ لزميله : عمُّ أحمدُ يا نَشَّارُ ، لقد تعبْتُ ! » .



« واضطّر أحمدُ النّشارُ أن يستجيبَ لرغبةِ الصّبيِّ ، وتوقّفَ لحظاتٍ عن نهشِ لحمي بمنشارِهِ الذي اشتدّت حرارَتُهُ ، فلسعَنِي ، بالإضافةِ إلى تمزيقِ جسمي ! » .

« وبدأ النّشارُ يمسحُ بأصابعِهِ قطراتِ العرقِ من على جبينِهِ ، وقد تركَ سلاحَ منشارِهِ الطويلِ داخلَ جُرْحِي العميقِ » .

قالتِ الشجرةُ الشّابةُ وأغصانُها وأوراقُها ترتجفُ : « لقد بدأتُ أنا نفسي أرتعدُ ، لمجرّدِ سماعِ هذا الذي حدثَ لكِ . لا أستطيعُ أن أتخيّلَ كيف نَجوتِ ! » .

قالتِ الشجرةُ العجوزُ :

« وأثناءَ توقّفِ الرجلِ والصّبيِّ ، خرجتُ فجأةَ عاصفةُ غبارٍ هائلةٌ من بابِ مدرسةِ الاجتهادِ ، الذي نراه الآنَ أمامنا » .

« ثم اقتربتِ العاصفةُ بسرعةٍ ناحيتي ، وانتشرتْ حولي ، والتصقَ بي مَنْ كانوا بداخلِها » .

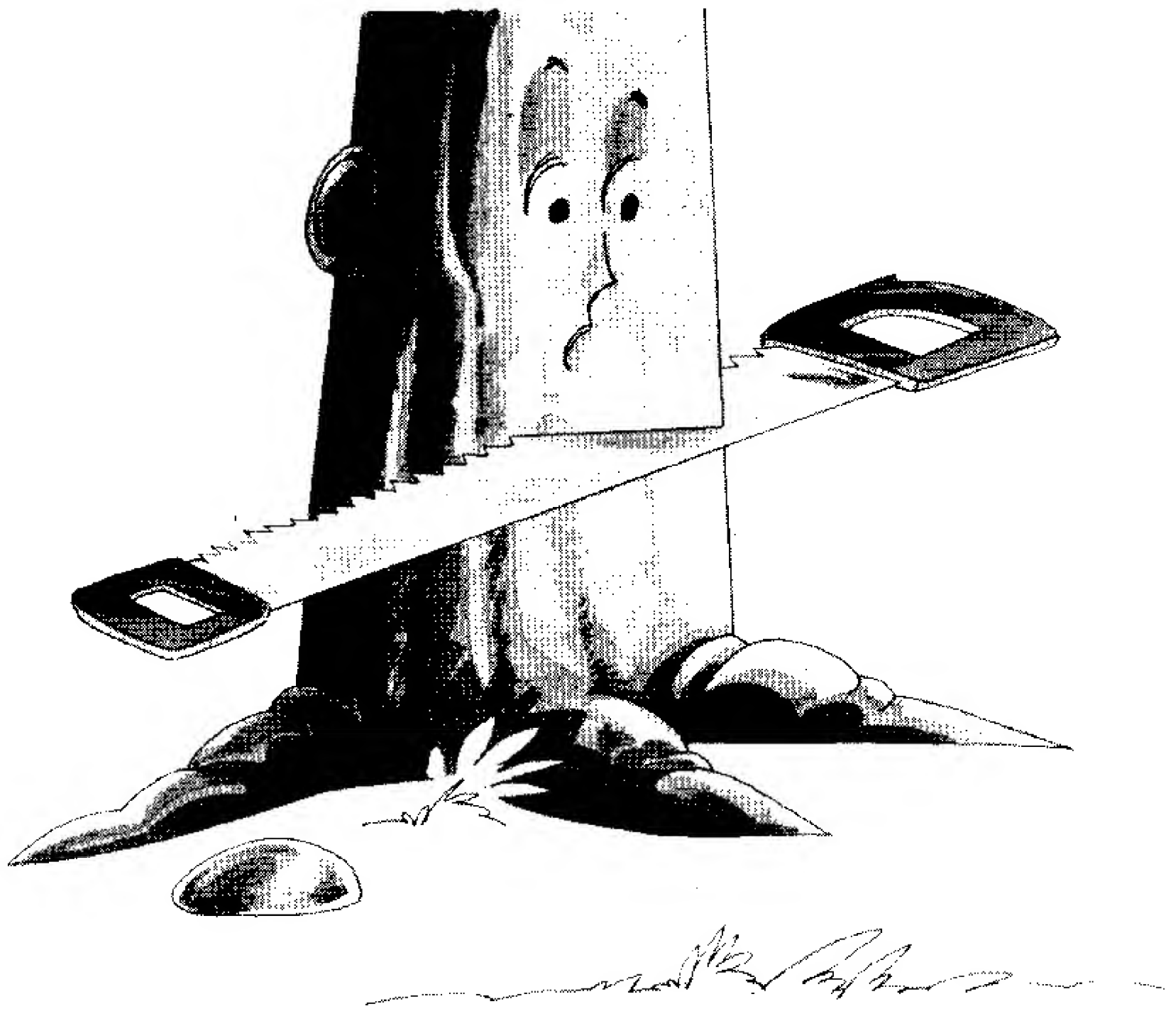
« وفي البداية ، لم يفهمَ أحمدُ النّشارُ وصيّهُ ماذا حدثَ ، لكنهما عرفا بوضوحٍ أنه لم يعدْ في استطاعتِهِما العودةُ إلى الإمساكِ بالمنشارِ ولا تحريكُهُ ، فقد أصبحَ هناكِ حاجزٌ بشريٌّ بينهما وبينِي ! » .

« عندئذٍ توقّفَ ارتعاشُ أوراقِي ، وعدتُ إلى امتصاصِ عُصارتِي ، وأنا غيرُ مُصدّقةٍ نفسي ! » .

وسيطرَ حبُّ استطلاعِ قوِيَّتي على الشجرةِ الشّابةِ ، فسألَتْ في لهفةٍ : « وماذا كانتْ حقيقةُ تلكِ العاصفةِ ، التي أوقفتِ المعتدينَ عليكِ ؟ » .

قالتِ الشجرةُ العجوزُ : « عندما بدأ الغبارُ يهدأ ، لم يصدّقْ أحمدُ النّشارُ عينيه . كانَ هناك عددٌ كبيرٌ من الصبيانِ والبناتِ من تلاميذِ المدرسةِ ، قد أحاطوا بجذعي الشّديدِ الضخامةِ ، وقد أمسك كلُّ واحدٍ منهم بكفِّ الآخرِ ، فأصبحوا حلقةً متماسكةً حولي . »

« لقد أحسنتُ بهم يحتضنونني ، وقد جعلوا من أنفسهم سوراً قوياً ، ودرعاً بشرياً ، يمنعُ أحمدَ النّشارَ وصبيّه ، من الاقترابِ ثانيةً نحو جذعي الكبير . »



« ولأول مرة في حياتي الطويلة ، أحسُّ بما كنتُ أسمعُ الناسَ يتحدثونَ كثيراً عنه : أحسستُ بالحبِّ ، فقد كانتُ حرارةُ أجسامِ الأطفالِ تتسلَّلُ من صدورهم وأذرعهم إلى جذعي ، فأشعرُ أنني أصبحتُ جزءاً منهم » .

صاحَ أحمدُ النشارُ ، وهو يُصَوِّبُ نظراته الغاضبةَ نحوَ الأولادِ والبناتِ : « ابتعدْ يا ولدُ أنتَ وهى .. العبوا في مكانٍ آخرَ ... » .

« لكنه وجدهم جميعاً كأنهم لم يسمعوه ! وقد أحسستُ أنهم ازدادوا التصاقاً بى » .

وتقدَّم أحمدُ النشارُ نحوَ الصغارِ ، ومدَّ يدهُ ، وكادَ يُمسِكُ بأحدِ الصغارِ ، لكنَّه تراجعَ فوراً عندما تَبَّهَ أنها فتاةٌ . كانَ الأولادُ يُنادونها باسمِ « زهرة » . تبلغُ من العمرِ الثانيةَ عشرةَ ، وإن كانتُ قامتها أطولَ كثيراً من سِنِّها .

وعادَ أحمدُ النشارُ يُمسِكُ كَتِفَ صَبِيٍّ ، ويَهْزُهُ في عُنْفٍ وهو يقولُ : « نريدُ أنْ نكمِلَ شُغلنا » .

وفي جُرأةٍ قالتِ الفتاةُ « زهرة » : « لن تكمِلوا أىَّ شُغلٍ !! » .

قالَ عمُّ أحمدُ النشارُ لنفسِهِ وهو لا يُصدِّقُ ما سَمِعَ : « ما هذا الذى يقولُهُ الصغارُ ويفعلونه ؟! ولماذا تمنعنى زهرةُ هذه من العملِ ؟! هذا معناه أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شُغلٌ اليومَ ، وأنى لَنْ آخذَ أجرى » .

أمَّا الصبِيُّ ، فقد سألَ أقربَ تلميذٍ مِنَ التَّفِّوا حولى : « أريدُ أنْ أفهمَ هذهَ اللُّعبةَ الجديدةَ التى تلعبونها » .

صاحتِ الفتاةُ زهرةُ ، وعلى وجهها تكشيرةٌ مثلُ تكشيرةِ الكبارِ : « نحنُ لا نلعبُ !! » .



والتفت إليه علوانى ، أصغر الصبيان الذين التفوا حولى ، وصاح فى حدة :
« هذه الشجرة لن يقطعها أحد !! » .

ولم يفهم أحمد النشار معنى هذه الصيحات ، فنظر إلى صبيه فى حيرة ، وقال :
« تعال ندخل المدرسة ، نكلم الأفندية » .



ومن بابِ المدرسةِ الواسعِ ، دَخَلَ أَحْمَدُ النَّشَّارُ وَفِي قَلْبِهِ إِحْسَاسٌ بِالْهَمِّ ،
وَوَخْلَفَهُ صَبِيٌّ ، يَهْمِسُ لِنَفْسِهِ : « أَيْنَ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالُ مِنْذُ الصَّبَاحِ ؟ لَقَدْ
تَوَرَّمَتْ يَدَايَ ! » .

وَتَقَدَّمَ النَّشَّارُ بِضَعِ خُطَوَاتٍ فِي الْفَنَاءِ الْوَاسِعِ ، ثُمَّ أَبْطَأَ خُطَوَاتِهِ ،
وَالْتَفَتَ إِلَى صَبِيٍّ الَّذِي وَقَفَ خَلْفَهُ ، وَسَأَلَهُ : « هَلْ خَلَّتِ الْمَدْرَسَةُ مِنَ
الْأَفْنَدِيَةِ ؟ » .

وَفَجْأَةً لَمَحَ الصَّبِيُّ شَابًّا ، فَأَمْسَكَ بِكَوْعِ عَمِّ أَحْمَدِ النَّشَّارِ ، وَاتَّجَهَا نَحْوَ ذَلِكَ
الشَّابِّ ، وَالصَّبِيُّ يَقُولُ : « إِنَّهُ أَحَدُ الْمُدْرَسِينَ ! » .

كَانَ « الْأُسْتَاذُ شَاكِرٌ » هُوَ اسْمُ ذَلِكَ الْمُدْرَسِ . وَعِنْدَمَا شَاهَدَ الرَّجُلَ وَالْفَتَى
يَتَقَدَّمَانِ نَحْوَهُ ، تَوَقَّفَ لِيَسْتَقْبِلَهُمَا .

قَالَ الْأُسْتَاذُ شَاكِرٌ لِلْعَمِّ أَحْمَدَ : « هَلْ أَنْتَ وَلِيُّ أَمْرِ تَلْمِيذٍ فِي
الْمَدْرَسَةِ ؟ » .

قَالَ عَمُّ أَحْمَدَ : « يَا أَفْنَدِي ...
تَعَالِ أَبْعِدْ أَوْلَادَكُمْ هَؤُلَاءِ عَنِ
الشَّجَرَةِ الَّتِي أَمَامَ الْمَدْرَسَةِ » .

سَأَلَ الْمُدْرَسُ : « إِنَّهُمْ يَلْعَبُونَ
تَحْتَ ظِلِّهَا « الْحَجْلَةَ » وَ « السَّيْجَةَ »
وَ « نَطَّ الْحَبْلِ » ، فَلِمَاذَا نُبْعِدُهُمْ
عَنْهَا ؟ ! » .

قَالَ أَحْمَدُ النَّشَّارُ : « مِنْذُ ثَلَاثَةِ



أسابيع ، ونحن نَقْطَعُ الشَّجَرَ فِي بِلَدَتِكُمْ هَذِهِ . لَقَدْ قَطَعْنَا حَتَّى الْآنَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ شَجَرَةً كَانَتْ فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْبَلَدِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَهَذِهِ شَجَرَةٌ مِنْ بَيْنِ الشَّجَرِ الَّذِي نَقْطَعُهُ ! » .

وَعَادَ الْأُسْتَاذُ شَاكِرٌ يَسْأَلُ فِي اسْتِغْرَابٍ : « وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ مِنْكُمْ قَطْعَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ؟! الْمَدْرَسَةُ لَمْ تَطْلُبْ ذَلِكَ ! » .

وَتَرَدَّدَ عَمُّ أَحْمَدُ النَّشَّارُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَغَيِظُهُ يَشْتَدُّ مِنْ هَذَا « الْأَفْنَدَى » الَّذِي لَا يُرِيدُ أَنْ يَفْهَمَ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ وَقَدْ نَفَذَ صَبْرُهُ : « يَا أَفْنَدَى .. نَحْنُ نُنَفِّذُ الْأَوَامِرَ .. الْمُقَاوِلُ قَالَ لَنَا اقْطَعُوا الشَّجَرَ ، وَنَحْنُ نَقْطَعُهُ ! » .

سَأَلَ الْأُسْتَاذُ شَاكِرُ مَرَّةً أُخْرَى : « وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ مِنَ الْمُقَاوِلِ قَطْعَ الشَّجَرِ ؟! » .

هُنَا لَمْ يَسْتَطِعْ عَمُّ أَحْمَدُ النَّشَّارُ أَنْ يُسَيِّطَرَ عَلَى غَضَبِهِ ، فَانْفَجَرَ صَائِحًا : « يَا أَفْنَدَى أَنَا عَبْدُ الْمَأْمُورِ .. تَفْتِشُ الرَّيَّ اتَّفَقَ مَعَ الْمُقَاوِلِ ! » ثُمَّ وَاصَلَ صِيَاحَهُ وَهُوَ يَغْلَى مِنَ الْغَيْظِ : « أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى الْعُمْدَةِ .. أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى ضَابِطِ النُّقْطَةِ .. » .

وَلَمْ يَنْتَظِرْ لِيَسْمَعَ رَدًّا عَلَى صِيَاحِهِ ، وَأَسْرَعَ يَقْطَعُ فَنَاءَ الْمَدْرَسَةِ نَحْوَ بَابِ الْخُرُوجِ ، بِخَطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ كَأَنَّهُ يَجْرِي ، وَصَبِيَّهُ يَجْرِي فِي ذَيْلِهِ ، يُحَاوِلُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ !!

« وَكَمْ أَثَارَ دَهْشَتَهُمَا ، أَنَّهُمَا وَجَدَا مَجْمُوعَةَ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ ، بِقِيَادَةِ الْفَتَاةِ زَهْرَةَ ، مَا زَالُوا يُحِيطُونَ بِي أَنَا شَجَرَةَ الْكَافُورِ !! » .

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، اقْتَرَبَ « الشَّيْخُ زَيْدَان » بَائِعُ الذَّرَةِ الْمَشْوِيَةِ ، وَهُوَ يَرْكَبُ

حمارُهُ ، قادمًا من حَقْلِهِ راجعًا إلى القرية ، ومعه كيسٌ قد امتلأ بكيزانِ الذُّرَةِ ،
يَحْتَضِنُهُ أمامه بذراعَيْهِ .

وعِنْدَمَا أَصْبَحَ أمامَ بابِ المدرسةِ تمامًا ، أَثَارَ انتباهَهُ منظرُ الأطفالِ ،
فأوقفَ الحمارَ ، وحملَقَ في دهشةٍ عندما رأى الصغارَ يلتصقونَ بالمنشارِ
الحادِّ الضخمِ !



وانتهزَ عمُّ أحمدُ النِّشَارَ الفرصةَ ، واقتربَ من بائعِ الذرةِ المشويةِ ، وقالَ له شاكياً :

« مَنْ يَتَحَمَّلُ المَسْئُولِيَّةَ إِذَا أَصَابَهُم المَنشَارُ ونحن نشتغلُ !!؟ » .

عندئذِ التفتَ بائعُ الذرةِ إلى الأَطفالِ ، وقالَ في تَأْنِيْبٍ :

« لِمَاذَا لَا تَتْرَكُونَ الرَّجُلَ يُكْمِلُ شُغْلَهُ ؟! هَذِهِ شَجَرَةٌ تَفْتِيْشِ الرَّيَّ ، وَالرَّيُّ حَرٌّ مَعَ المَقَاوِلِ » .

هنا ارتفعَ صوتُ زهرةَ قَائِلَةً فِي تَحَدٍّ : « أَيْنَ المَقَاوِلُ ؟ نُرِيدُ أَنْ نَتَحَدَّثَ مَعَ المَقَاوِلِ » .

هَمَسَ الشَّيْخُ زَيْدَانُ لِنَفْسِهِ :

« لَقَدْ أَدَخَلْتُ نَفْسِي فِي مَوْضُوعٍ

كَبِيرٍ ، لَا أَعْرِفُ لَهُ رَأْسًا مِنْ قَدَمَيْنِ ،

وَفِيهِ مَنشَارٌ وَإِصَابَاتٌ وَمَسْئُولِيَّةٌ » .

ثُمَّ وَخَزَ الحِمَارَ بِكَعْبَيْهِ ،

وَوَاصَلَ طَرِيقَهُ مُسْرِعًا إِلَى القَرْيَةِ .

وبعدَ دَقَائِقَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَخْتَارَ عَمُّ

أَحْمَدُ النِّشَارَ خُطْوَتَهُ التَّالِيَةَ ، شَاهَدَ

شَيْئًا غَرِيبًا فِي الطَّرِيقِ القَادِمِ مِنَ

القَرْيَةِ إِلَى المَدْرَسَةِ ، وَالَّذِي اخْتَفَى

مِنْهُ الظِّلُّ بَعْدَ قِطْعِ أَشْجَارِ الكَافُورِ

الطَوِيلَةِ الضَّخْمَةِ الَّتِي كَانَتْ تُظِلُّهُ .



التفت النشار إلى صبيّه ، وسأله وهو يُشير إلى مجموعاتِ الناسِ التي تجرى وتَهْرولُ بغيرِ نظامٍ في الطريقِ : « ما الذي حدثَ في البلدِ ؟ ! » .

وفتحَ أحمدُ النشارُ فمّه بدهشةٍ ، وهو يُردّدُ غيرَ مُصدّقٍ عينيه : « كأنهم يطاردونَ أحدَ اللصوصِ أو القتلّةِ !! » .

وبعدَ لحظاتٍ ، ظهرَ أنَّ بائعَ الذرةِ المشويةِ ، الشيخَ زيدانَ ، هو الذي يقودُ جمهورَ القادمينَ وهو جالسٌ على حماره ، ومن خلفه يَهْرولُ في انزعاجٍ شديدٍ ، عددٌ كبيرٌ من الأمهاتِ والفتياتِ والرجالِ .

لقد ظنَّ النشارُ في البداية أنهم عشرةٌ أو عشرونَ ، لكنَّ عندما اقتربَ المتدافعونَ ، تضاعفتْ دهشتهُ عندما تأكّدَ أن عددَ القادمينَ أكبرُ من ذلكَ بكثيرٍ !!

قال النشارُ في انزعاجٍ شديدٍ : « ما الذي جاءَ بكلِّ أهلِ البلدِ ناحيتنا ؟ » .

واستمرَّتِ الشجرةُ العجوزُ في حكايتها ، قالتُ : « والذي لم يعرفهُ أحمدُ النشارُ ، وعرفتهُ أنا من حكاياتِ الصغارِ بعدئذٍ ، أنّه ما إنْ دخلَ بائعُ الذرةِ المشويةِ أولَ دروبِ القريةِ ، وهو على حماره ، حتّى صاحَ :

« أسرعوا يا ناسُ ... أولادُكم يتشاجرونَ مع رجالِ المِقاولِ .. أسرعوا قبلَ أنْ يُصيبَ المنشارُ أطفالكم بأذى !! » .

وتجمّعَ الناسُ حولَ بائعِ الذرةِ ، الذي شعرَ بأهميتهِ وهو يُلقِي هذهَ الأخبارَ المثيرةَ ، فعادَ يقولُ :

« المنشارُ في الشجرة .. والأطفالُ حولَ الشجرة .. سيقطعُ المنشارُ وسطَ واحدٍ من أطفالكم !! » .

« وفي لحظاتٍ ، كانتُ شائعاتُ المنشارِ الذي « قتلَ » الأطفالَ قد ملأتِ البلدَ . وخرجَ أفرادُ كلِّ أسرةٍ لها أولادٌ في المدرسةِ معَ جيرانهم ، يهرولون ، ليمنعوا الكارثةَ التي بدأتُ تتضحُ !! » .

وظهرَ الشيخُ زيدانُ سعيدًا بدورِ القائدِ ، فواصلَ صياحهَ بعباراتٍ مُثيرةَ مُستفزةٍ : « أنجدوا أولادكم .. المنشارُ مسنونٌ مثلَ السيفِ ! » .

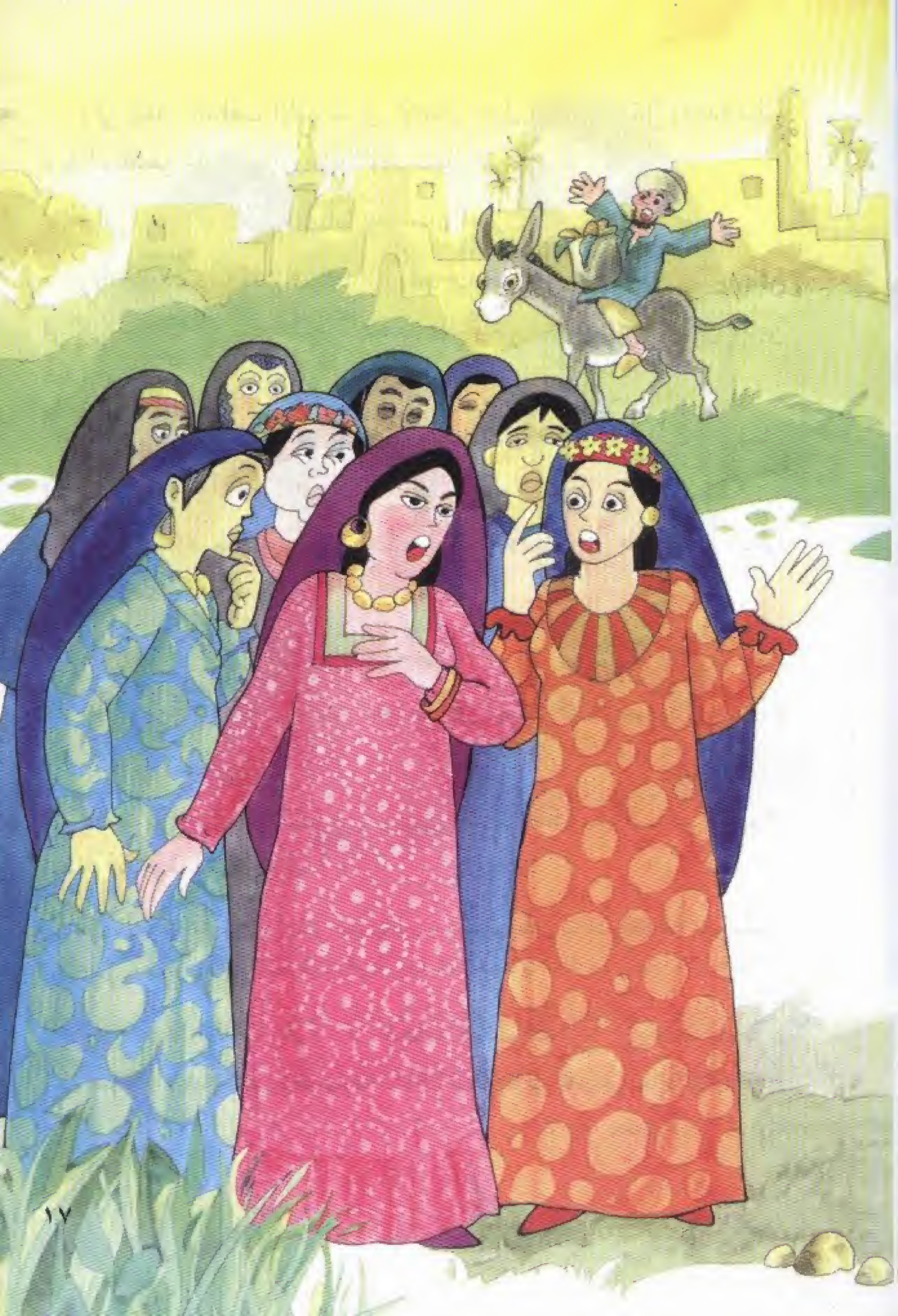
وسألتِ السيدةُ أمَّ محمدٍ ، السيدةَ أمَّ دميانةَ ، وقد أصبحَ لونُ وجهها أصفرَ مثلَ « الكرْكُم » ، أثناءَ جريهما نحوَ المدرسةِ : « هل ماتَ أحدُ الأطفالِ ؟ » .

قالتُ أمُّ دميانةَ وهي تصرخُ : « الشيخُ زيدانُ يقولُ إنها عصابةٌ كبيرةٌ ! استرُّ يا ربُّ » .

وهمسَ الصبيُّ إلى عمِّ أحمدَ النشارِ ، وهو يُشيرُ إلى سيدةٍ كانتُ تتقدمُ المجموعةَ التي تقتربُ نحوَهما بسرعةٍ :

« هذه خالتي أمُّ زهرةَ ، أمُّ البنتِ التي تتكلمُ قبلَ كلِّ الصبيانِ !! أمُّ زهرةَ هذه أشطرُ مَنْ يبيعُ ويشتري المواشيَ في البلدِ ، وزوجُها يعملُ في الإماراتِ ! » .

وشاهدتِ الأمهاتُ المنشارَ الرهيبَ في الشجرةَ ، وكانَ هذا كافيًا لتأكيدِ كلِّ حكاياتِ الشيخِ زيدانِ !



وفي لهفة ، اندفعت الأمهات إلى الأطفال حول الشجرة ، كل واحدةٍ منهنَّ تريدُ أن تطمئنَّ على ابنها أو ابنتها ، وهي تسألُ في فزعٍ :
« أين المصابون ؟! أين العصاة ؟ هل مات أحدٌ ؟! » .

ولأن عددًا كبيرًا من الأمهات لم يجدن أبناءهن حول الشجرة ، فقد اندفعن في كل اتجاهٍ يبحثن عن الصغار : دخلن المدرسة ، أو وقفن في الطريق يتلفتن هنا وهناك .

ووقعَ نظرُ إحدى الأمهات على عمِّ أحمد النشار وصبيِّه ، فاندفعت نحوهما ، وصاحت : « أين اختفى الذين أرادوا قتل الأطفال ؟ » .

ورفعَ عمُّ أحمد النشار وجهه ببطءٍ ، وقالَ للأمهات في سخطٍ : « اسألوا الأسياء حول الشجرة » .

وتقدّمت والدَةُ زهرة إلى ابنتها ، تسألها .

قالت زهرة في ثقةٍ : « الرىُّ اتفقَ مع المُقاوِلِ على قطعِ الشجرة ، والرىُّ لم يأخذ رأينا ! » .

قالت أمُّ أخرى في حَسرةٍ : « ومتى أخذت الحكومة رأينا في شيء ؟! الشجرُ شجرُها ، والمالُ مالُها ! » .

قال الصغيرُ علوانى ، أصغرُ الصبيان : « المدرّسُ قالَ لنا إنّ المدرسةَ مدرستنا ، والشجرُ شجرُنا !! » .

وفي احتجاجٍ قالت زهرة : « الحكومة عمّلت الشارعَ وزرعت الشجرَ ، بمالٍ ضريبة الأتبان التي تأخذها مِنّا ... الأستاذُ شاكرُ مدرّسُ المواد الاجتماعية قالَ لنا هذا !! » .



واحتجَّ ولدٌ أَسْمَرُ : « لماذا يتركون الشمسَ تحرقُ رؤوسنا ؟! الطريقُ من البلدِ
إلى المدرسةِ طويلٌ ، والشَّجَرُ كانَ يحمينا من حرارةِ الشَّمْسِ !! » .
قالتُ أمُّ زهرة ، وهى تتأملُ هؤلاءِ الأطفالَ الذين كبروا أمامها فى لحظاتٍ :
« المدرسةُ لابدَّ أن تقفَ معنا » .

لَكِنَّ الْأَطْفَالَ رَفَضُوا أَنْ يَتْرَكُوا الشَّجَرَةَ ، فَاتَّجَهَتْ الْأُمَهَاتُ وَدَخَلْنَ الْمَدْرَسَةَ ،
وَمَعَهُنَّ الْفَتَاةُ زَهْرَةُ ، الَّتِي اخْتَارَهَا الْأَطْفَالُ ، بِاجْتِمَاعٍ صَامِتٍ ، لِتَتَوَبَّعَهُمْ مَعَ
أَهْلِ الْبَلَدِ .

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَدْ لَاحِظٌ أَنَّ بَائِعَ الذَّرَّةِ الْمَشْوِيَةِ ، الشَّيْخَ زَيْدَانَ ، كَانَ قَدْ
اخْتَفَى !

لَكِنْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، ظَهَرَ بَائِعُ الذَّرَّةِ يَقْتَرِبُ ، يُرَافِقُهُ شَخْصٌ آخَرٌ ، يَرْكَبُ
أَيْضًا حِمَارًا ، وَيَرْفَعُ شَمْسِيَّةً فَوْقَ رَأْسِهِ .
وَدَخَلَ بَائِعُ الذَّرَّةِ الْمَشْوِيَةِ مَعَ صَاحِبِ الشَّمْسِيَّةِ إِلَى فَنَاءِ الْمَدْرَسَةِ .

وَفِي وَسْطِ حَلْقَةٍ مَتَزَاكِمَةٍ مِنَ النِّسَاءِ ، وَقَفَ الْأُسْتَاذُ شَاكِرٌ مَعَ أُمِّ زَهْرَةَ
وَابْنَتِهَا .

وَشَقَّ بَائِعُ الذَّرَّةِ الْمَشْوِيَةِ الطَّرِيقَ أَمَامَ حَامِلِ الشَّمْسِيَّةِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى
الْأُسْتَاذِ شَاكِرٍ .

قَالَ حَامِلُ الشَّمْسِيَّةِ : « أَنَا الرَّيِّسُ حَسَنِينَ ، وَكَيْلُ الْمَقَاوِلِ » .

وَقَبْلَ أَنْ يُكْمَلَ حَدِيثُهُ ، دَخَلَ مِنْ بَابِ الْمَدْرَسَةِ رَجُلٌ يَرْتَدِي حُلَّةً أُنَيْقَةً ،
وَعَلَى عَيْنَيْهِ نَظَّارَةٌ سَوْدَاءُ ، وَفَوْقَ رَأْسِهِ قُبْعَةٌ مِنَ الْفُلَيْنِ السَّمِيكِ تَحْمِيهِ مِنَ
حَرَارَةِ الشَّمْسِ .

وَتَقَدَّمَ لِابْنِ الْقُبْعَةِ نَحْوُ الْمَجْمُوعَةِ الْوَاقِفَةِ وَسْطَ فَنَاءِ الْمَدْرَسَةِ ، وَفِي الْحَالِ انْفَسَحَ
لَهُ طَرِيقٌ ، وَصَاحَ الرَّيِّسُ حَسَنِينَ مُرَحَّبًا :

« أَهْلًا يَا بَاشْمَهَنْدَسَ مُرَادَ » .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْوَاقِفِينَ يَقُولُ : « بَاشْمَهَنْدَسَ الرَّيِّ » .



ثم عاد الرئيس وكيل المَقاول ، يَهْتَفُ بمهندسِ الرِّى قائلاً : « قل لهم يا باشمهندس إنكم سَمَحْتُمْ لنا بقطع الأشجار » .

وتمهل المهندسُ مراد قبل أن يُجيبَ ، فاندفعتْ زهرة تقولُ : « يا باشمهندس ، إنه شجرٌ كافورٌ من أحسنِ نَوعٍ ، لِمَذا سَمَحْتُمْ بقطعِهِ ؟ » .
وتردَّدَ مهندسُ الرِّى لابسُ القُبعةِ ، ولم يُجب .

واستغربَ الواقفونَ لسكوته : السؤالُ واضحٌ ، فلماذا لم يُجبْ عنه ببساطةٍ وسرعةٍ ؟!

وفي صوتٍ خافتٍ ، كأنه لا يريدُ أن يسمعه أحدٌ ، قالَ مهندسُ الرِّى :
« لم نسمحْ بقطعِ « كلِّ » الشجرِ !! » .

وفي الحال ، ارتفعَ صوتُ
« الستِ أم زهرة » ، تسألُ في
حدةٍ : « تقصدُ حضرتك أنكم
سمحْتُمْ بقطعِ « بعضِ » الأشجارِ ،
ولم تَسمحوا بقطعِ « البعضِ
الآخرِ ؟ ! » .



هنا التفتَ مهندسُ الرِّى إلى
الرئيسِ حسنين وكييل المَقاولِ ،
وأشارَ إليه بقبعته وهو يقولُ في
عتابٍ ، كمن يريدُ أن يُبعدَ المسئوليةَ
عن نفسه :

« يا رَيسُ حَسَنِينَ .. أَنَا نَبَّهْتُ عَلَيْكَ مِائَةَ مَرَّةٍ أَنَّ الْعَقْدَ لَا يَسْمَحُ لَكَ إِلَّا بِقَطْعِ الشَّجَرِ الَّذِي ضَرَبَهُ السُّوسُ فَقَطْ ! » .

وَنَظَرَ الرَّيْسُ وَكَيْلُ الْمَقَاوِلِ فِي وَجْهِ مُهَنْدِسِ الرِّىِّ ، وَصَوَّبَ نَظَرَاتِهِ إِلَى عَيْنَيْهِ مُبَاشَرَةً ، وَقَالَ وَهُوَ يَكَادُ يَصِيحُ : « وَهَلْ فَعَلْنَا غَيْرَ ذَلِكَ يَا بَاشْمُهَنْدَسَ !؟ » .

وَفَجْأَةً ارْتَفَعَتْ هَمَهَمَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأُمَّهَاتِ ...

وَارْتَفَعَ صَوْتُ أُمِّ زَهْرَةَ ، بِلَهْجَةٍ تَحْمِلُ مَعْنَى الْإِتْهَامِ : « هَذِهِ حِكَايَةٌ فِيهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ !! » .

صَاحَ فِيهَا وَكَيْلُ الْمَقَاوِلِ ، كَأَنَّمَا لَسَعَهُ عَقْرَبٌ : « عَيْبٌ يَا سِتِّ ، لَا تُصَدِّقِي الْإِشَاعَاتِ !! » .

وَمِنْ وَسْطِ الْحَشْدِ ، صَاحَتْ أُمُّ أُخْرَى : « الْآنَ فَهَمَّنَا الْمَلْعُوبَ !! » .

وَلِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، صَاحَ الرَّيْسُ وَكَيْلُ الْمَقَاوِلِ ، وَهُوَ يَتَظَاهَرُ بِالْغَضَبِ الشَّدِيدِ : « أَقُولُ عَيْبٌ يَا سَيِّدَاتُ .. هَذَا كَلَامٌ لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ !! » .

وَبغَيْرِ أَنْ يَنْتَظِرَ لِيَسْمَعَ كَلِمَةً أُخْرَى ، تَرَكَ حَلْقَةَ الْمُتَجَمِّهِينَ ،



رِصَاحَ : « مَعِيَ يَا عَمُّ أَحْمَدُ يَا نَشَّارُ ، مَعِيَ يَا وَلَدُ يَا حَمْدَانُ ... بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
حَضْرَةُ الْمُقَاوِلِ !! » .

وَعِنْدَمَا كَانَ وَكَيْلُ الْمُقَاوِلِ يَنْطَلِقُ فِي الطَّرِيقِ ، خَارِجَ الْحَلْقَةِ ، اصْطَدَمَتْ قَدَمُهُ
بِأَحَدِ جَذْوَعِ الْأَشْجَارِ الْمُقْطُوعَةِ ، وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَضَحِكَ الْأَطْفَالُ ، وَقَالَتْ
زَهْرَةُ فِي سَخَرِيَّةٍ :

« سَقَطَ كَمَا أَسْقَطَ الْأَشْجَارُ !! » .

وَكَالْعَاصِفَةِ ، رَكِبَ الرَّيْسُ حُسَيْنَ وَكَيْلُ الْمُقَاوِلِ ، حِمَارَهُ ، وَأَسْرَعَ مُبْتَعِدًا
فِي الطَّرِيقِ الَّذِي أَصْبَحَ عَارِيًّا مِنَ الْأَشْجَارِ . وَخَلْفَهُ أَحْمَدُ النَّشَّارُ وَالصَّبِيُّ
حَمْدَانُ .

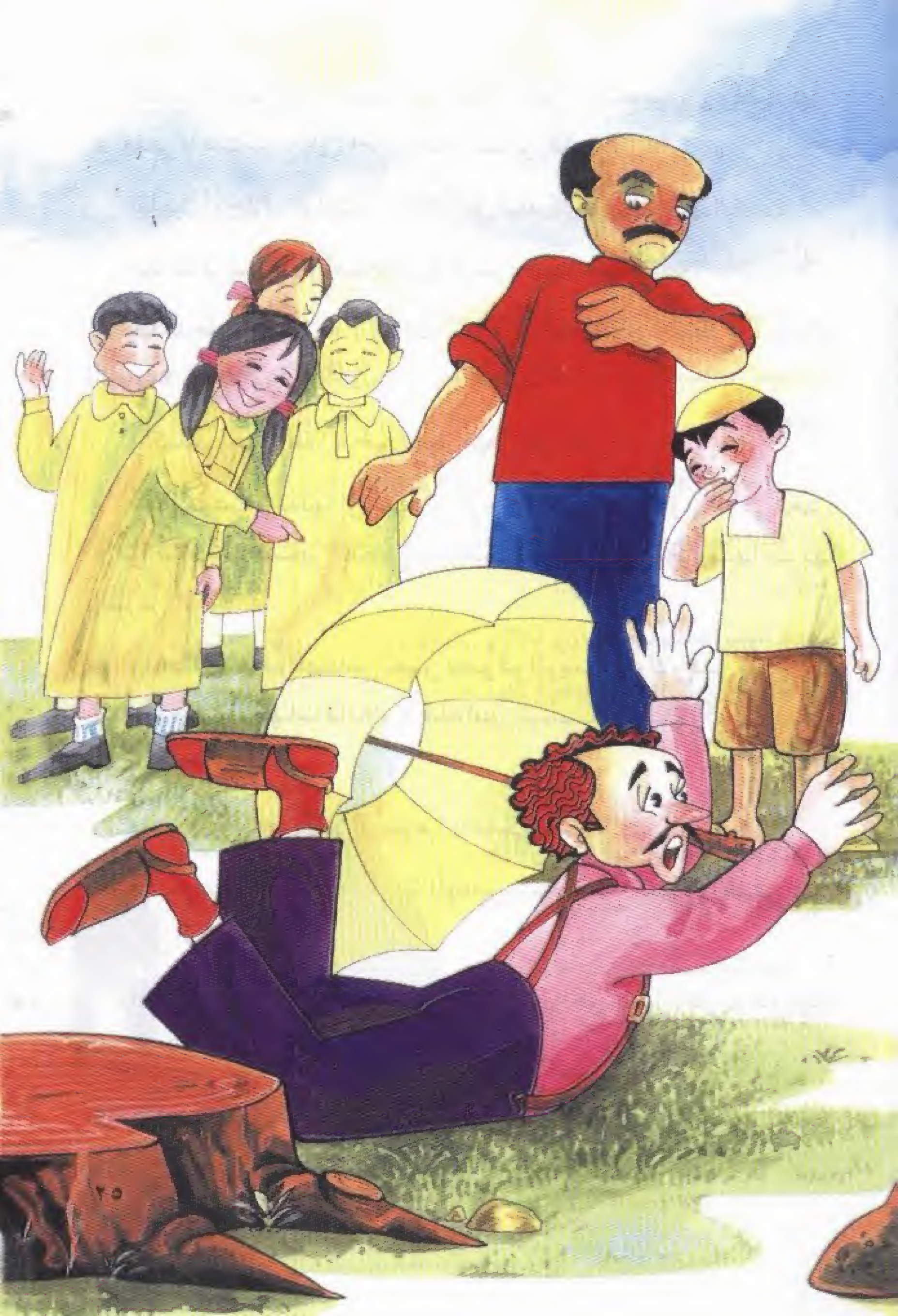
وَاسْتَدَارَتْ مَجْمُوعَةُ الْأُمَّهَاتِ يُتَابِعْنَ « هَرُوبَ » وَكَيْلِ الْمُقَاوِلِ
وَالْعَامِلِينَ !

وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، وَجَدَ الْأَهَالِي مَجْمُوعَةَ الصَّبِيِّ وَالْفَتَيَاتِ قَدْ تَرَكَوا مَوَاقِعَهُمْ حَوْلَ
الشَّجَرَةِ ، وَوَقَفُوا يُرَاقِبُونَ بِاهْتِمَامٍ ابْتِعَادَ النَّشَّارِ وَتَابِعَهُ الصَّبِيُّ .

قَالَتْ زَهْرَةُ بِفَخْرٍ ، وَكَأَنَّهَا تُعْلِنُ بَيَانًا حَرِيًّا :

« الْعَمَالُ مَشَوْا ، وَوَكَيْلُ الْمُقَاوِلِ مَشَى !! »

وَوَقَفَتِ الْأُمَّهَاتُ حَوْلَ الْأُسْتَاذِ شَاكِرٍ ، الَّذِي التَفَتَ إِلَى السَّيِّدَةِ أُمِّ
زَهْرَةَ ، وَقَالَ كَأَنَّهُ يَقْرَأُ أَفْكَارَهَا : « مَاذَا كُنْتَ تَقْصِدِينَ بِأَنَّ الْمَوْضُوعَ فِيهِ
كَلَامٌ كَثِيرٌ ؟ ! » .



التفتت أم زهرة إلى السيدة التي رددت كلمة « الملعوب » ، وقالت لها :
« تقدّمي يا ستّ أم جلال ، احكي القصة لشاكر أفندي . »

تقدّمت أم جلال ، وقالت : « كلام أهل البلد كثير !! » .

عاد شاكر يسألها : ولمصلحة من لا تريدون أنتم أن تتكلّموا ؟

هنا تدخلت أم زهرة ، وقالت : « هل رأيت الشجر المقطوع يا شاكر أفندي ؟ هل فيه سوس ؟ ! » .

وأكملت زهرة قائلة : « لحم الشجر أبيض مثل الفل ! » .

هنا التفتت والدتها إلى مهندس الرّى صاحب القبعة ، وسألته في تحدّ :
« هل شاهدت الشجر المقطوع يا باشمهندس ؟ ! كم شجرة منها ضربها السوس ؟ ! » .

وفجأة تصرف المهندس نفس تصرف الرئيس مبروك وكيل المقاول ..
لقد صاح في الأمّهات قائلاً : « هذه أمور ليست من شئونكن !! السلام عليكم » .

وأسرع يهرب هو الآخر ، متظاهراً بالغضب الشديد !!

قالت زهرة في جرأة : « يبدو أن المهندس والمقاول هما السوس الحقيقي الذي
ينخر في الشجر !! » .

قالت أم زهرة : « لماذا يغضبون من قول الحق ؟ ! هل الحق يوجع بهذا
الشكل ؟ ! » .

وقالت أم أخرى : « بل هم يخافون من انكشاف المستور !! » .

وفى تصميمٍ قال الأستاذُ شاكر : « ولماذا تخافون أنتم من كشفِ
المستور ! » .

هنا قالتِ « الستُّ أمُّ زهرة » ، فى نبراتٍ واضحةٍ ، سكَّتْ لسماعِها
كُلُّ النساءِ المتزاحماتِ :

« الشَّجرةُ الَّتِي أمامَ بَيْتِ السَّتِّ أمِّ جلال ، لم يَقطعوها ! » .

ثمَّ التَفَّتْ إلى أمِّ جلالِ وَقَالَتْ : « قولى لشاكر أفندى لِمَاذَا لم
يَقطعوها » .

تردَّدَتْ أمُّ جلال ، وَقَالَتْ : « هذا كلامٌ لا يُقال ! » .

هنا اندفعتِ الفتاةُ زهرةُ تقولُ ، وهى تُوجِّهُ حَدِيثَها إلى « الستِّ أمِّ
جلال » :

« أنتم أعطيتُمُ المَقاولَ ثلاثينَ
جنيهاً ، لكى لا يقطعَ الشجرةُ الَّتِي
أمامَ بَيْتِكُم !! » .

صاحتْ أمُّ جلال فى استنكارٍ :
« هذه أمورٌ يتحدَّثُ فيها الرجالُ .. »
ثم قطعتْ كلامَها ، وسكَّتْ !!

عندئذٍ تقدَّمتْ سيدةٌ شابةٌ
أخرى ، تحملُ على كَتِفِها رضيعاً .
وعرفها الأستاذُ شاكر . إنها والدَةُ
الصغيرِ علوانى .



لقد سافر زوجها أيضًا للعمل خارج مصر ، فافتحت محلًا تجاريًا صغيرًا ، تبع فيه الأدوات الكهربائية لأهل القرية .

قالت أم الصغير علوانى : « أنا أعطيت الرئيس حسين وكيل المقاول ، خمسين جنيهًا ، لكي لا يقطع الشجرة التي تظل على دكاني ! » .

سأل الأستاذ شاکر : « كيف تقدمون كل هذه المبالغ ، بهذه السهولة ، لو قيل المقاول ؟! » .

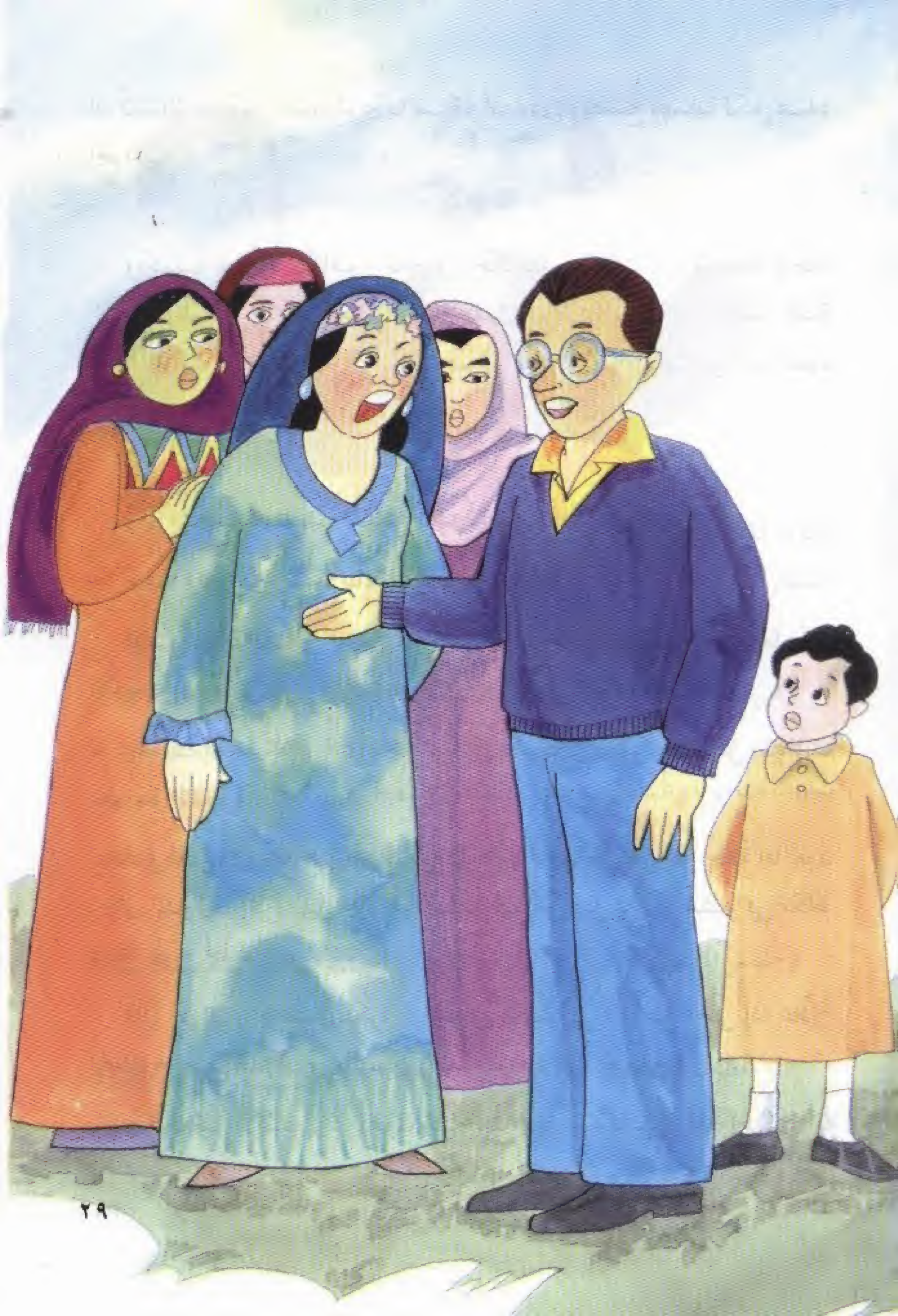
قالت الست أم علوانى : « قالوا لنا إن الحكومة سمحت لهم بقطع أية شجرة يختارونها . لم نسمع أبدًا بحكاية الشجر الذي به سوس . كنا نظن أن من حق المقاول أن يختار الشجرة التي يقطعها ، والشجرة التي لا يقطعها ... » .

قال الأستاذ شاکر : « ولكن ما فعلتموه حرام .. هذه رشوة !! » .

صاحت « الست أم علوانى » فى غضب وثورة : « وما اسم هذا الذى فعله المقاول ؟! غش ؟! سرقة ؟! قتل ؟! أن يقطع شجرة قويًا سليمًا ؟! ماذا تسمى هذا يا شاکر أفندى ؟! أن يقطع شجرة ليس به سوس وسليمًا مائة فى المائة .. ماذا تسمى هذا ؟! »

واحتدت « الست أم زهرة » وهى تقول : « ومراد أفندى ، مهندس الرى ، جالس فى مكتبه ، يلعب بقبعته ونظارته السوداء ، ولا يمر ليعرف هل يقطع المقاول الشجر السليم أم غير السليم !! هل هذا إهمال أم كسل أم شيء مقصود ؟! » .

وأضافت أم زهرة : « لن نسمح بقطع أية شجرة أخرى بعد الآن .. لا بد



أن تُقابل مُفتشَ عامِّ الرِّىِّ يا شاكرُ أفندى ، وتضعَ نهايةً لكلِّ هذه الجرائمِ ! » .

وأكملتُ شجرةَ الكافورِ العجوزَ حكايتها .. قالتُ : « وعندما توجَّهَ الأستاذُ شاكرُ معَ الأمهاتِ إلى الأطفالِ المُلتقِّينَ حولى ، اندفعتِ الفتاةُ زهرةُ تؤكدُ فى تصميمٍ : سَنَبقى حَوْلَ الشجرةِ ، نَحميها من أىِّ اعتداءٍ جديدٍ » .

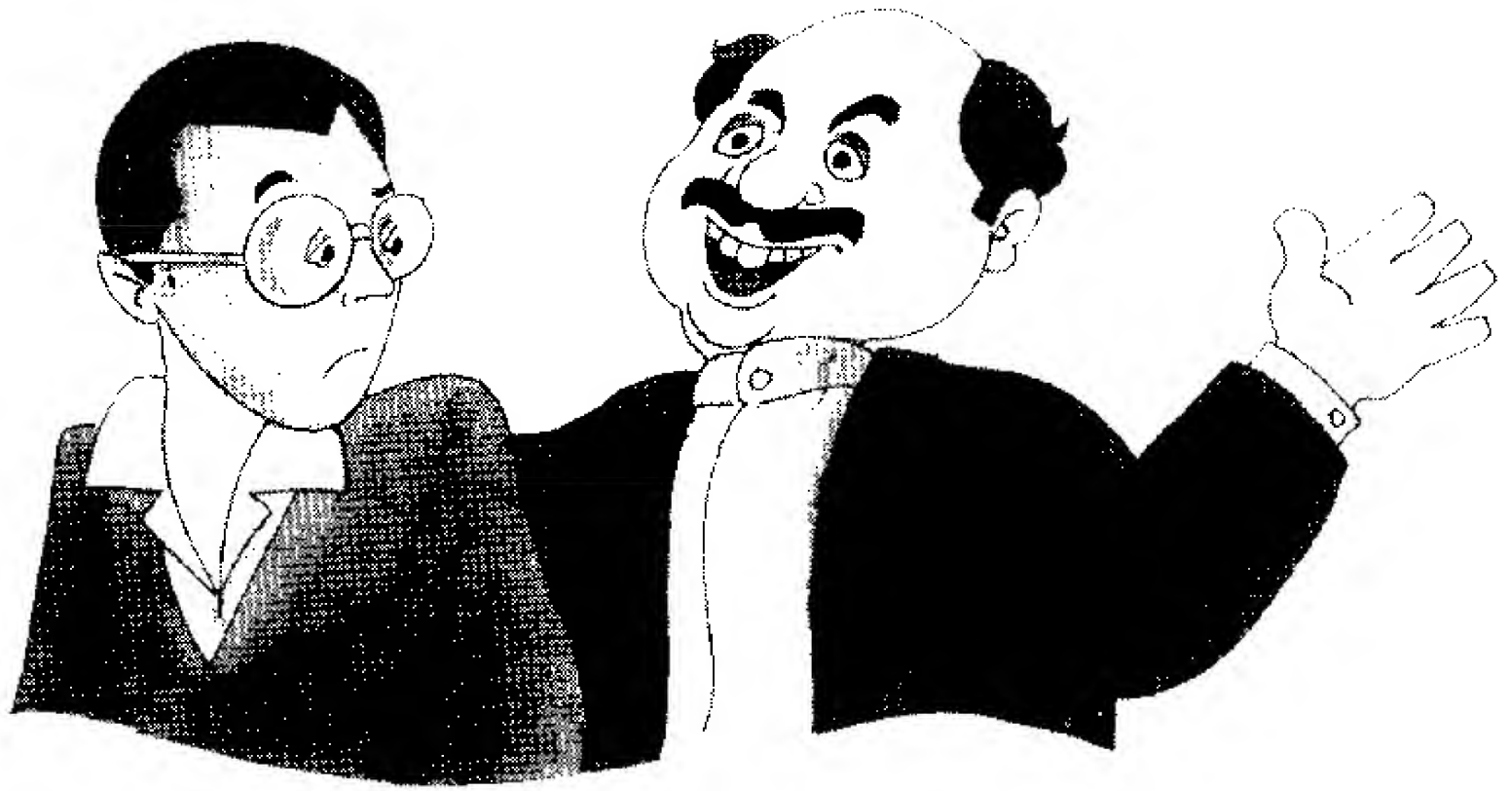
وفى إعجابٍ قالتُ شجرةُ الظلِّ الشابةُ لشجرةِ الكافورِ العجوزِ :
« هذا وفاءٌ مثلُ وفاءِ الأبناءِ للأمهاتِ والآباءِ » .

قالتُ شجرةُ الكافورِ العجوزُ : « لقد شعرتُ حقًّا أنهم أبنائى . وعندما رأتِ الأمهاتُ إصرارَ الأطفالِ ، قالتُ أمُّ جلالٍ : « سَأبقى مَعكم » .
وقالتُ أمُّ علوانى : « وأنا سَأعودُ إلى القريةِ ، أُحضِرُ طعامًا لمن يقومون بحراسةِ الشجرةِ » .

« وجلسَ الأولادُ حولى أنا شجرةَ الكافورِ ، يتوقعون فى كلِّ لحظةٍ أن يعودَ رجالُ المِقاوِلِ ، لكنَّ الليلَ جاءَ ، ولم يظهرَ لهم أثرٌ ، بل تركوا المِناشَرَ فى مكانِهِ داخلَ جُرحِ جذعى » .

قالَ علوانى : « عِندى فكرةٌ .. سندفنُ المِناشَرَ فى التُّرابِ ، حتى إذا عادوا ليقطعوها ، لن يجدوه ، وبذلك نكونُ قد عطَّلناهم فترةً طويلةً » .

« كانَ كلُّ الأطفالِ يتوقعون مُفاجآتٍ جديدةً ، فقد اعتادوا دائميًّا أن



يكون لدى الكبار من الوسائل ما يستطيعون به فرض إرادتهم أخيراً على الصغار !! « .

وفى مساء ذلك اليوم ، فوجئ الأستاذ شاكر ، فى منزله ، بزيارة لم يكن يتوقعها . سمع طرقاً على الباب . وعندما فتحه ، وجد رجلاً مُمتلئ الجسم ، له شاربٌ ضخْمٌ ، وعينان يشعُّ منهما الذكاء والدهاء .

قال الزائر صاحب الشارب الضخم : « أنا محروس سيد على .. مُقاوِلُ قطع الأشجار » .

وجلس المُقاوِلُ على أول مقعدٍ قابله ، وجلس بالقرب منه الأستاذ شاكر .

بعد لحظات صمتٍ ، قال المُقاوِلُ : « لماذا لم تجئِ إليّ ، لتفاهمَ بهدوءٍ يا أستاذ شاكر ؟! » .

قال الأستاذ شاكر في هدوءٍ مُماثلٍ : « أنا لم أتشرفَ بمعرفةِ سيادتِكَ مِنْ قَبْلُ ،
وليسَتْ لِي علاقةٌ بأىِّ موضوعٍ يخصُّكَ لكى أتفاهمَ معَكَ بشأنِهِ !! » .

قالَ المُقاوِلُ : « يا أستاذُ شاكر .. لِنَكُنْ صُرحاءَ .. البلدُ كُلُّها تعرفُ أنك أنتَ
المُدْرَسُ الَّذى حَرَضَ الأطفالَ عَلَى تَصْرِفِهِمُ الَّذى قاموا بِهِ » .

قالَ الأستاذُ شاكر : « غيرُ صحيحٍ .. الأولادُ هم الذين جاءوا إلَيَّ ، يشتكونَ
من قَطْعِ الأشجارِ . وكلُّ ما طلبوه مِنِّي ، أن أبعدَ عنهم الناظرَ وبقيةَ المدرسينَ ، لكى
لا يَمنعوهم من تنفيذِ خِطَّتِهِم فى حمايةِ الشجرةِ بأجسامِهِم !! » .

قالَ المُقاوِلُ : « ماذا ستستفيدُ أنتَ أو المدرسةُ من دُخولى السجنِ ؟! » .

قالَ الأستاذُ شاكر : ' إذا سكتُ أنا ، فلنَ يَسكتَ أهلُ البلدِ » .

قالَ المُقاوِلُ : « لم أكنُ أعرفُ شيئاً عن المبالغِ الَّتى أخذَها وكيلى من أهلِ
البلدِ . لقد أعادَ إليهم بعدَ ظهرِ اليومِ ، كلَّ النقودِ الَّتى أخذَها مِنْهم » .

قالَ الأستاذُ شاكر ، وهو يُحاولُ أن يكتُمَ غَيْظَهُ من تظاهرِ المُقاوِلِ بالبراءةِ :
« وَمَنْ سَيُعِيدُ الحياةَ إلى الشجرِ المقطوعِ ؟! » .

قالَ المُقاوِلُ ، وقد ظهرَ له واضحاً تصميمُ الأستاذِ شاكر على الاستمرارِ فى
الوقوفِ إلى جانبِ أهلِ البلدِ : « لا بُدَّ أن نجدَ حلاً مع مُفتشِ عامِّ الرِّى » .

وفى صباحِ اليومِ التَّالى ، شاهدَ الأطفالُ الَّذين ظلُّوا يُحيطونَ بالشجرةِ ، ثلاثةَ
رجالٍ يَخْرُجونَ من بابِ المدرسةِ ، يتقدَّمُهُم حضرةُ الناظرِ ، ومعه الأستاذُ شاكر
المُدْرَسُ ، يتوسَّطُهُما رجلٌ ضخْمُ الجسمِ ، تبدو عليه مظاهرُ أصحابِ السُّلطةِ ،
واتجهوا ناحِيةَ الأطفالِ .



وَتَطَّلَعَ إِلَيْهِمُ الْأَطْفَالُ بِاهْتِمَامٍ شَدِيدٍ ..

قَالَ نَاطِرُ الْمَدْرَسَةِ لِلْأَطْفَالِ ، مُشِيرًا إِلَى الرَّجُلِ الْغَرِيبِ : « الْبَاشْمَهَنْدَسُ مَخْتَارُ عِمْرَانَ ، مُفْتَشُّ عَامُ الرَّيِّ » .

وَأَضَافَ النَّاطِرُ : « لَقَدْ جَاءَ لِيَقُولَ لَكُمْ أَخْبَارًا مُهِمَّةً » .

قَالَ مُفْتَشُّ عَامُ الرَّيِّ : « أَنَا أَشْكُرُكُمْ يَا أَوْلَادِي .. الْعَقْدُ الَّذِي كَتَبْنَاهُ مَعَ الْمَقَاوِلِ ، لَا يُسَمَحُ لَهُ إِلَّا بِقَطْعِ الشَّجَرِ الْمَيِّتِ أَوِ الَّذِي أَصَابَهُ السُّوسُ ، لَكِي لَا يَقَعَ فَيَقْتُلَ النَّاسَ وَالْمَوَاشِيَ . وَأَنَا أَصْرَحُ لَكُمْ بِأَسْفَى الشَّدِيدِ ، لِأَنَّا لَمْ نَرِ خَشَبَ الشَّجَرِ الَّذِي تَمَّ قَطْعُهُ » .

قَالَ النَّاطِرُ : « وَنَحْنُ لَمْ نَكُنْ نَفْهَمُ السَّرَّ ، فِي حِرْصِ الْمَقَاوِلِ عَلَى سُرْعَةِ نَقْلِ أَجْزَاءِ الشَّجَرِ الَّذِي يَتَمُّ قَطْعُهُ ، فِي سَيَارَاتٍ تَنْطَلِقُ بِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَلَدِ ، قَبْلَ أَنْ يُعْطَى الْوَقْتُ لِأَحَدٍ كِي يَرَاهَا ! » .

قَالَ مُفْتَشُّ عَامُ الرَّيِّ : « كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، لَكِي لَا نَكْتَشِفُ أَنْ وَكِيلَهُ يَقْطَعُ أَشْجَارًا غَيْرَ مُصَابَةٍ » .

قَالَتْ زَهْرَةُ : « وَكَيْفَ نَعُوْضُ الشَّجَرَ الَّذِي فَقَدْنَاهُ ؟ ! » .

قَالَ مُفْتَشُّ عَامُ الرَّيِّ : « هَذِهِ الشَّجَرَةُ الَّتِي أَمَامَ بَابِ الْمَدْرَسَةِ .. لَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا الْمِنْشَارُ .. لَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهَا أَحَدٌ بَعْدَ الْيَوْمِ !! » .

وَمَا إِنْ سَمِعَ الْأَطْفَالُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ ، حَتَّى سَرَتْ بَيْنَهُمْ فَرَحَةٌ مُفَاجِئَةٌ ، وَكَأَنَّمَا هَبَّتْ عَلَيْهِمْ عَاصِفَةٌ غَيْرُ مُنْتَظَرَةٍ ..

لَقَدْ انْطَلَقُوا جَمِيعًا يُصَفِّقُونَ وَيَضْحَكُونَ ، وَيَرْفَعُونَ قَبْضَاتِ أَيْدِيهِمْ عَلَامَةً

الْإِنْتِصَارِ !!

صَاحَتْ زَهْرَةُ : « عَاشَتِ الشَّجَرَةُ ... يَسْقُطُ الْمِنْشَارُ !! » .

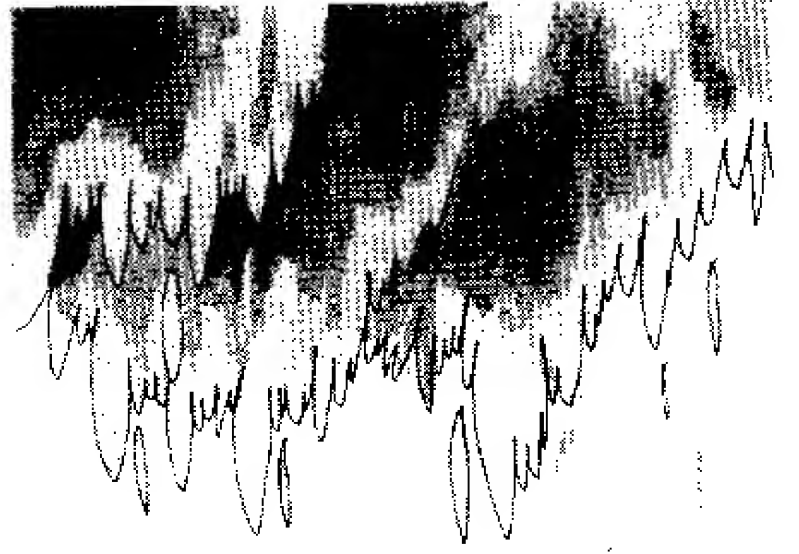
ورددَ الأطفالُ كلماتها ، وهم
يضحكون ويهتفون : « عاشتِ
الشجرة !! » .

وأضاف مفتشُ عامِّ الرِّى :
« وتفتيشُ الرِّى يزرعُ الآن فعلاً ،
ثمانمائة شتلةٍ أشجارٍ سريعةِ
النُّمو ، من أشجارِ الظِّلِّ ، فى
كلِّ طُرُقِ القريةِ ، وفى الطُّرُقِ
المؤدِّيةِ إليها ، خاصةً الطُّرُقِ
التي قطعَ المَقاولُ أشجارها . بل
أيضاً فى الطُّرُقِ التي لم يكنْ
بها أشجارٌ من قَبْلُ » .

وارتفعتْ عاصفةٌ ثانيةٌ من
التَّصفيقِ والهتافِ ، استمرتْ
طويلاً .

وبعدَ أن هدأتْ قليلاً ، قال
المفتشُ العامُّ :

« وسنقومُ أيضاً بمحاسبةِ مَنْ
أهمَلوا فى مُراقبةِ المَقاولِ
ورجاله !! » .



هنا عَادَتْ شَجَرَةُ الكَافُورِ تَهزُّ أَغْصَانَهَا ، تَحْتَضِنُ بِهَا شَجَرَةُ الظِّلِّ وَهِيَ
تُضِيفُ قَائِلَةً :

« وَلَعَلَّكَ يَا شَجَرَةُ الظِّلِّ الشَّابَّةُ ، لَا تَذَكِّرِينَ كَيْفَ كَانَ مَوْلَدُكَ . لَقَدْ كُنْتُ شَتْلَةً
صَغِيرَةً ، يُمَكِّنُ أَنْ يَأْكَلَكَ مَاعِزٌ ، أَوْ تُحَطِّمَكَ حَوَافِرُ بَقَرَةٍ ، أَوْ يَقْضِيَّ عَلَيْكَ الْعَطَشُ
وَعَدَمُ الْعَنَاءِ » .

وَأَضَافَتْ شَجَرَةُ الكَافُورِ الْعَجُوزُ :

« لَكِنْ بَعْدَ شُهُورٍ ، كَانَ الزَّائِرُ يُشَاهِدُ ، فِي مُعْظَمِ طُرُقَاتِ الْقَرْيَةِ ، قِبَابًا
صَغِيرَةً ، بِهَا فَتَحَاتٌ تَسْمَحُ بِدُخُولِ الْهَوَاءِ وَالشَّمْسِ إِلَى شَتَلَاتِ الْأَشْجَارِ ، الَّتِي
تَمَّتْ زِرَاعَتُهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ ... وَكُنْتُ أَنْتِ مِنْ بَيْنِهَا » .

وَفِي تَأْكِيدٍ ، أَضَافَتْ شَجَرَةُ الكَافُورِ ، بِصَوْتِهَا الْعَمِيقِ الْهَادِئِ الْوَاقِعِ :

« أَطْفَالُ الْقَرْيَةِ ، تَقُودُهُمْ زَهْرَةٌ ، هُمْ الَّذِينَ تَحْمِلُوا مَسْئُولِيَّةَ رِيِّ هَذِهِ الْأَشْجَارِ
بِالْمَاءِ ، وَتَسْمِيْدِهَا ، وَتَنْظِيفِ مَا حَوْلَهَا ، وَمَنْعِ الْحَيَوَانَاتِ مِنَ الْإِقْتِرَابِ مِنْهَا ، وَبِنَاءِ
تِلْكَ الْقِبَابِ حَوْلَهَا لِحَمَايَتِهَا » .

وَحَتَمَتْ شَجَرَةُ الكَافُورِ حِكَايَتَهَا قَائِلَةً :

« وَلَوْلَا عِنَايَةُ الْأَطْفَالِ الْمُسْتَمِرَّةُ بِكَ وَبِأَخَوَاتِكَ ، لَمَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْدِيَ فُرْصَةً
لِلْحَيَاةِ أَوْ النَّمُوِّ » .

« أُمَّا الصَّبِيُّ حَمْدَانُ ، فَقَدْ التَّحَقَّقَ بِالمَدْرَسَةِ ، يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، لَكِي يَفْهَمَ اللَّعْبَةَ
الَّتِي لَعِبَهَا فَرِيقُ زَهْرَةٍ ! » .



والآن ، وقد مضت سنواتٌ على هذا الذى حدث ، نُشاهدُ أمامَ بابِ « مدرسة
الاجتهاد » ، فى قرية « البياضية » ، بمحافظة المنيا ، بصعيد مصر ، شجرةَ كافورٍ
عملاقةً ، يظهرُ فى جذعِها أثرٌ واضحٌ لمنشارٍ ، وبجوارِها بقايا جذعِ صنخٍ ،
لأختِها التى تمَّ قطعُها غدرًا .

لكنَّ يوجدُ أيضًا إلى جوارِهما ، وعلى طولِ الطريقِ إلى القرية ، صفٌّ
طويلٌ من أشجارٍ حديثةٍ ، تنشرُ الظلَّ والهواءَ الرطبَ على تلاميذِ المدرسةِ ،
وهم يلعبونَ تحتها ، أو وهم قادمونَ من بيوتهم ، أو عائدونَ من المدرسةِ .



نقترح عليك أن تشترك في أحد أو كل الأنشطة التالية :

- ١ - ما الذى أعجبك فى شخصية زهرة ؟ اذكر بعض مواقف القصة التى تعرفت من خلالها على أهم ما يميز زهرة .
- ٢ - « كانت والدة زهرة قدوة لابنتها » - اشرح هذه العبارة .
- ٣ - تخيل أنك وضعت نفسك موضع الشجرة العجوز ، فماذا كنت تقول للأطفال ، وأنت تراهم يقومون برى شتلات الأشجار الصغيرة ، وتسميدها ، وبناء القباب حولها لحمايتها ؟
- ٤ - وقفت زهرة تلقى كلمة فى احتفال أقامته مدرستها ، ابتهاجاً بنجاحها مع زملائها الأطفال فى حماية الشجرة ومنع قطعها ، فما الذى تقول له زهرة ؟
- ٥ - هناك رأى يقول ، إن الأشجار تحس وتفرح وتتألم . تخيل نفسك شجرة تعبر عن سعادتها ، وهى ترى الأطفال يلعبون فى الظل الذى تمنحه حماية لهم من حرارة الشمس ، فماذا تقول ؟